الإسقيط و مذبح مار مينا

كان القمص مينا المتوحد أب إعترافى , و كنت ألازمه فى كنيسة مار مينا بمصر القديمة . و كان هو أول من علمنى التسبحة السنوية و صلاة المزامير , و منه أيضا تعلمت كيف أخبز القربان , و حكمة مار اسحق السريانى .

سألته يوما بعد صلاة العشية إن كان يشتاق إلى الإسقيط و دير البراموس , فقال لى فى وداعة و إبتسامة :
انت عاوز تعرف فين الإسقيط ؟
فقلت له : الإسقيط هو وادى النطرون .
و إبتسم و قال : أنا عارف , لكن تعال أوريك فين الإسقيط .

و سار أمامى حتى وقفت أمام مذبح مار مينا فى كنيسة مار مينا , و قال بصوت هادئ: يارب إفتح عينى الغلام . و مد يده اليمنى و وضعها على رأسى كعادته و صلى دون أن أسمع الكلمات , و إبتسم و قال لى :
المذبح ده أصله فى الإرادة الأزلية لربنا يسوع المسيح , و هو كائن هنا أمامك بقدرة رب الجنود و نعمة تقديم ذاته كحمل بلا عيب . هذه إرادة الذبح الإلهية , و هى إرادة التقديم مثل ينبوع يسكب المياه فى كل الكنائس , أى النعمة , و يسقى النساك و الرهبان و الراهبات , و كل شعب المسيح , و يؤسس الأديرة و الكنائس و الأيقونات و السرائر , و يسكب القداسة على كل من هو متكل على إرادة الرب يسوع . هذه الإرادة هى التى جعلت لها مكانا فى الأديرة , و عند كل مذبح يوجد الدير .

و أشار بيده إلى صدره و قال :
المذبح هنا , لأن الرب يسوع أراد أن يكون له مذبحا فى قلبى و فى قلبك , و عشان كدا دير البراموس هنا , و أشار إلى الهيكل , ثم أشار إلى ذاته و قال :
إن عشت فى البتولية يبقى للرب يسوع دير عمران بالمحبة , و أيقونات التواضع و الإعتراف بالإيمان . و يا إبنى الأديرة شواهد حية لازم تنطبق على حياتنا الشخصية . و لذلك فالعبرة ليست فى هذا الدير أو ذاك , بل العبرة فى الإرادة و المحبة و تكريس القلب لإسم ربنا يسوع المسيح .
شفت فين دير البراموس ؟ هنا عند مذبح مار مينا , و مار مينا هناك فى دير البراموس , و عندك كمان مكسيموس و دوماديوس أولاد الأنبا مكاريوس . و أشار إلى أيقونة كانت على الحائط البحرى فى الكنيسة , و قال :
كل دول أعضاء جسد المسيح الواحد , و العضو الحى فى جسد المسيح يحس بباقى الأعضاء .

بعد ذلك بعدة أيام سألنى و هو يبتسم : رحت يا ابنى دير البراموس ؟
و قلت له : لأ لسه هاروح فى إجازة عيد الميلاد مع أبونا ...
فقال : طيب لما تروح هناك إبقى صلى لى .
و فجأة أدركت مغزى السؤال , و لكننى خجلت من الكلام , فقال و هو يدرك خجلى:
يارب إفتح عينى الغلام , ثم أضاف : للرب الأرض و ملؤها, المسكونة و جميع الساكنين فيها .

و بعد صلاة العشية عمل تمجيد لمار مينا , و كانت له أيقونة فى آخر الكنيسة و مقصورة مكتوب عليها : فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة .

و بعد التمجيد قال لى و هو يبتسم : دير البراموس فى قلب مار مينا , لأنه أخذ إكليل البتولية و إكليل التوحد .

يا أبانا البار البابا كيرلس السادس , لقد مرت سنوات على هذا الحوار , صلى عنا لكى يستعلن المسيح ضابط الكل الذى يجمع الكل فى وحدة روحية فائقة .